

طريق دمشق

أنا ساعة الصفر . أو ساعة الزمن العربي . وفي
جسدي عقربان :
دمشق .. وصوتي
وجنت أقول :
أحاصركم . قاتلا أو قتيل
أعدّ لهم ما استطعت .. وينشقّ في جنني قمر المرحلة
وأمتشقّ المقصلة
أحاصركم : قاتلا أو قتيل
وانسى الخلافة في السفر العربيّ الطويل الى انقمح
والقدس والمستحيل
يؤرّخني خنجران :
العدو

وعوره طفل صغير تسمونه
بردى

وسمّيته مبتدا
واخبرته انني قاتل او قتيل .

من الاسود ابتدا الاحمر .. ابتدا الدم :

هذا أنا . هذه جثتي

ايّ مرحلة تعبر الان بيني وبينني !

أنا الفرق بينهما

همزة الوصل بينهما

طعنة الورد بينهما

آه ، ما أصفر الارض !

ما اكبر الجرح ..

مرّوا

اتسع النقطة .. النطفة .. الفارق ..

الشارع .. الساحل ..

ما اكبر الارض !

ما أصفر الجرح

هذا طريق الشام .. وهذا هديل الحمام

وهذا أنا . هذه جثتي

والتحمنا

فمرّوا ..

خذوها الى الحرب كي انهيّ الحرب بيني وبينني

خذوها .. احرقوها باعدادها

انزلوها على جبل غيمة او كتابا

ومرّوا ..

ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي

هذه جثتي واتهامي

تدلت من الشارع الجانبي الى المكتب البرجوازيّ

من اوزرق ابتدا اليجرّ ..
هذا النهار يعود من الابيض السابق ..
الان جئت من الاحمر اللاحق ..
أغسلي يا دمشق بلوني
ليولد في الزمن اعرابي بهار .

أحاصركم : قاتلا او قتيل
واسألکم ، شاهدا او شهيدا :
متى تفرجون عن النهر ، حتى أعود الى الماء ازرق
اخضر
احمر
اصفر

أو اي لون يحدّده النهر
اني خرجت من الصيف والسيف

اني خرجت من المهدي واللمدي
نامت خيولي على شجر الذكريات

ونمت على وتر المعجزات
ارتدنتي يدك نشيدا اذا انزلوه على جبل ، كان

سوره « ينتصرون » ..
دمشق ، ارتدنتي يدك ، دمشق ! ارتدنت يدك ،

كان الخريطة صوت يفرخ في الصخر
نادى .. وحر كني

ثم نادى وفجرني
ثم نادى .. وقطرني كالرخام المذاب

ونادى .

كان الخريطة انثى مقدّسة فجرّنتني بكارتها، فانفجرت
دفاعا عن السر والصخر

كوني دمشق
فلا يعبرون !

من البرتقالي يبتديء البرتقال

ومن صمتها يبتدا الامس
او : يولد القبر

يا ايها المستحيل .. يسمونك الشام !
أفتح جرحي لتبتديء الشمس . ما اسمي؟ دمشق ..

وكنت وحيدا
ومثليّ كان وحيدا هو المستحيل .

أنا ساعة الصفر دقت
فشقت

خلايا الفراغ على سرج هذا الحصان
المحاصر بين المياه

وبين المياه .

لماذا محوت الوف الوجوه
وما زال وجهك واحد!
لماذا انحنيت لدفن الضحايا
وما زال صدرك صاعد!

وامشي وراء دمي . وأطيع دليلي
وامشي وراء دمي نحو مشنفتي
هذه مهنتي يا دمشق ..
من الموت تبندئين . وكنت تنامين في قاع صمتي ولا
تسمعين ..

وأعددت لي لفة من رخام وبرق .
من الصوت يتبدى الصمت ..
امشي الى بردي ، آه مستغرقا فيه او خائفا منه ..
ان المسافة بين الشجاعة والخوف
حلم

تجسّد في مشنفته
آه ، ما اوسع القيلة الضيقه!
وآرّخني خنجران :
العدو
ونهر يعيش على مهل

هذه جثتي وأنا
افق ينحني فوقكم
او حذاء على الباب يسرقه النهر
اقصد :
عورة طفل صغير يسمونه
برّدي

وسميته مبتدا
واخبرته انني قاتل او قتيل .
تقلّدني العائدات من الندم الابيض
الذاهبات الى الاخضر الغامض
الواقفات على لحظة الباسمين .
دمشق : انتظرناك كي تخرجي منك
كي نلتقي مرة خارج المعجزات
انتظرناك ..

والوقت نام على الوقت
والحب جاء ، فجئنا الى الحرب
نفسل اجنحة الطير بين اصابعك الذهبية
يا امرأة لونها الزبد العربي الحزين .
دمشق الندى والدماء

دمشق النداء
دمشق الزمان
دمشق العرب !
تقلّدني العائدات من الندم الابيض
الذاهبات الى الاخضر الغامض
الواقفات على ذبذبات الغضب
ويحملك الجند فوق سواعدهم
يسقطون على قدميك كواكب
كوني دمشق التي يحلمون بها

مرّوا
ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي
دمشق الطريق اليّ ، الى فرح الشهداء الى غضب
الفقراء ،
دمشق الطريق الى عرس يافا .
هي الحرب تاتي وتذهب !
كلا!

هنا ودّع الخاطئون الخطيئة ، والعشب غطى
حصون الغزاة ،
وما اوسع الطرقات الصغيره !

* * *
من الابيض ابتدا الازرق ..

ابتدا الموج
اني اغادر جدرانكم ، وافيض ...
الخص جدرانكم .

ليس مايو اسير المدينة او عبدها
ليس مايو بسيدها او فتاها ..
وعاقبني الرب ، كافأني الرب ،
هذا هو الدرب

اقطف من شجر النار هذا الهلال
اكسره وافجّره ، ثم اصهره في دمائي
واطلقه نحو كل الشهور
لكي اجرح الزمن الاسيوي
ويرتاد كل مسيح صليبا
ويولد في الزمن العربي نهار .

طريق دمشق
دمشق الطريق
ومفترق الرسل الحائرين امام الرمادي
اني اغادر احجاركم - ليس مايو جدرا
اغادر احجاركم واسير
وراء دمي في طريق دمشق
احارب نفسي .. واعداها .
ويسألني المارة المتعبون ، او المارة الحائرون عن اسمي
فأجهله ..

اسألوا عشبة في طريق دمشق !
وامشي غريبا .

وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي
فأقول : افتش فوق طريق دمشق .
وامشي غريبا .

ويسألني الحكماء المملون عن زمني
فأشير الى حجر اخضر في طريق دمشق .
وامشي غريبا .

ويسألني الخارجون من الدير عن لغتي
فأعدّ ضلوعي واخطيء

اني تهجّيت هذي الحروف ، فكيف اركبها ؟
دال . ميم . شين . قاف .
فقالوا : عرفنا - دمشق !
ابتسمت . شكوت دمشق الى الشام :

فيكون العرب .

نحارب ؟ لسنا نحارب
نطلع من شفرة السيف بين الدخان وبين اللهب
نحارب ؟ كلا !
تعيد الى الياسمين بياضا يحاصره الآخرون
وظلّ التعب
تعيد الى الطير عادته في الغناء
تعيد الى البحر لون السماء
تعيد الى الصخر شكل الندى
ومذاق العنب .

نحارب ؟ كلا
تعيد الى بردى طولهُ المنزلي
وندفع عنه الزكاة لصيف بخيل
ولسنا نحارب
لكننا نطرد النمل من دمنّا ،
شرب النمل حتى الثمالة ،
لسنا نحارب
لكننا نقتفي أثر النبط فينا .

من الأحمر ، اشتعل الصوت * * *
صاح بنا الصوت
حوّنا الموت
مشنقتي لا أراها
رأيت سواها
من الأحمر .. انتشر اللون
غطى المسافة والكون
شق الخرافة واللون
مشنقتي لا أراها
رأيت سواها :

من الكستنائي .. يبدأ شعر حبيبي
من البرتقالي .. يبدأ صوت حبيبي ..
من الفستقي .. تنام ذراع حبيبي على الشرفات
من اللازوردي .. يبدأ ظلّ حبيبي على البحر
مشنقتي لا أراها
رأيت سواها
من الأحمر احترق الصوت
صاح بي الصمت
حوّني الموت
أخضر بين الفيوم
وأزرق بين النجوم
وأبيض فوق سطوح دمشق .

وهذا دمي

يحارب

أعني : يشكّل

أعني : يُبدّل

أعني : يحول

هذا دمي

يعلن اليوم عرس دمشق وحيفا
وخطبه حمص ويافا
ويُرّجع للناس أسماءهم
ويكتب للزمن العربي نهار .

قلت شيئا ، واكمله يوم موتي وعيدي :

من الأزرق ابتداء البحر
والشام تبداً مني - أموت
ويبدأ في طرق الشام أسبوع خلقي
وما أبعد الشام ، ما أبعد الشام عني !
وسيف المسافة حزّ خطاياي .. حز وريدي
فقرّبني خنجران :
العدوّ وموتي
وصرت أرى الشام .. ما أقرب الشام مني

ويشنقني في الوصول وريدي .

وقد قلت شيئا ، واكمله :

كاهن الاعترافات ساومني يا دمشق
وقال : دمشق بعيدة

فكسرت كرسيه ، وصنعت من الخشب الجبلي طيبي
أراك على بُعد قلبين في جسد واحد
وكنت أطلّ عليك خلال المسامير
كنت العقيدة

وكنت شهيد العقيدة

وكنت تنامين داخل جرحي

وفي ساعة الصفر ، تمّ اللقاء

وبين اللقاء وبين الوداع

أودع موتي .. وأرحل .

ما أجمل الشام ، لولا الشاء ، وفي الشام

يبتدئ الزمن العربي وينطفيء الزمن الهمجي

أنا ساعة الصفر دقت

وشقّت

خلايا الفراغ على سطح هذا الحصان الكبير الكبير ..

الحصان المحاصر بين المياه

وبين المياه

أعدّ لهم ما استطعت ..

ويشوقّ في جثتي قمر .. ساعة الصفر دقت ..

وفي جثتي حبة أنبتت للسنابل

سيع سنابل ، في كل سنبل ألف سنبل ..

هذه جثتي أفرغوها من القمح ثم خذوها الى الحرب

كي انهيّ الحرب بيني وبينها

خذوها ، احرقوها بأعدائها

خذوها ليتسع الفرق بيني وبين اتهامي

وامشي أمامي

ويولد في الزمن العربي .. نهار (X) .

بيروت

(X) من مجموعة « طريق دمشق » التي تصدر هذا الشهر عن
دار الآداب .